The Islamic University Journal (Series of Natural Studies and Engineering)
Vol.18, No.1, pp 115 - 130 , **2010**, ISSN 1726-6807, http://www.iugaza.edu.ps/ara/research/

الدور السياسي للعمارة في إطار الصراع الفلسطيني الإسرائيلي

عاهد صبحي حلس

كلية الفنون الجميلة - قسم الديكور

جامعة الأقصى- غزة - فلسطين

ملخص: يتناول البحث بالدراسة والتحليل الأبعاد السياسية للعمارة وذلك في إطار العمل علي مواجهة ما تتعرض له فلسطين كتاريخ وذاكرة وهوية من محاولات التزييف والشطب والتشويه من قبل دولة الاحتلال الإسرائيلي، ويبرز البحث أهمية الموروث المعماري كحصن ثقافي دفاعي من جهة، وكوسيلة لترسيخ بنية ذاكرة المكان و تطاير الهوية من جهة ثانية، ويتناول البحث بالدراسة والتحليل عدداً من النماذج المعمارية والعمرانية التي تعبر عن السياسات الإسرائيلية الرامية إلي إعادة صياغة المكان الفلسطيني وتفريغه من رموزه الحضارية واستبدالها برموز مستوحاة من النصوص التوراتية لدعم المزاعم الإسرائيلية بالعمق التاريخي للدولة اليهودية، وينتهي البحث بمجموعة من التوصيات الموجهة إلى الجهات الفلسطينية ذات العلاقة لصياغة إستراتيجية لمواجهة خطر سياسات تشويه وشطب الذاكرة الفلسطينية.

الكلمات المفتاحية: الذاكرة الجماعية، الموروث المعماري، التحصين الثقافي.

The Political Role of Architecture in the Context of the Palestinian Israeli Conflict

Abstract: The research highlights the political dimensions of architecture in the context of the Israeli Palestinian conflict.
The importance of the research stems from the need to confront the Israeli plans that aim to eliminate and distort Palestine' history, memory and identity. the research underscore the important role of architecture as an affective tool to confront Israeli plans and policies which aim to fabricate a history of Israel on Palestine land. The research studied and analyzed a number of Israeli urban and architectural polices which have been implemented since the establishment of Israel state. The main goal of these plans and policies is to change the historical facts by erasing the Palestinian cultural symbols from the occupied land and implanting an invented cultural symbols connected to Torah and Jewish history. The research ends by formulating the research findings and recommendations.

مقدمة:

لم يكتف الاحتلال الإسرائيلي الذي جاء إلى فلسطين في العام 1948 بدعوى الحق التاريخي باحتلال الأرض وطرد السكان الأصليين منها، بل عمد عبر سياسات دقيقة وموجهة إلى تفريغ المكان من رموزه ومحتواه الحضاري وزرعه برموز متخيلة تؤكد مزاعمه بالعمق التاريخي لدولته المستحدثة، فإلى جانب إعادة تسمية المدن والقرى الفلسطينية بأسماء توراتية أبقت

المخططات الإسرائيلية على الكثير من البيوت الفلسطينية القديمة والمباني العامة وإعادة تأهيلها بدافع الإيهام بعراقة الحضور اليهودي في المكان وبدافع البحث عن إطار حضاري لمجتمع فسيفسائي التكوين ويعاني من تناقضات بنيوية في نسيجه الاجتماعي، وفي هذا السياق، تبرز الحاجة الملحة إلي مشروعات الحفاظ وإعادة الإحياء في فلسطين كوسيلة لمواجهة السياسات الإسرائيلية وتفعيل الهوية الفلسطينية وترسيخ بنية ذاكرة المكان، ويهدف البحث إلى إبراز الأهمية السياسية لمشروعات الحفاظ المعماري وإعادة الأحياء في إطار مواجهة السياسات الإسرائيلية الرامية إلى اقتلاع مفردات الذاكرة الفلسطينية وشطب الهوية الفلسطينية ويتحقق هذا الهدف من خلال:

- فهم الدور السياسي المزدوج للعمارة كأداة مقاومة وأداة تكريس للتبعية الثقافية وذلك من خلال الاستشهاد بعدد من الأمثلة التاريخية والمعاصرة
- التعرض بالدراسة والتحليل إلى عدد من النماذج والمشاهدات المعمارية التي تعبر عن السياسات الإسرائيلية التي تستهدف سرقة مفردات الذاكرة الفلسطينية ودعم المزاعم الإسرائيلية بعراقة الحضور اليهودي في المكان.
- صياغة نتائج البحث وبلورة التوصيات.

1- العمارة والسياسة

إن صناعة الرموز المعمارية تعتبر إستراتيجية إدماجية بالمفهوم الاجتماعي الحضاري لأفراد الجماعة في هوية موحدة ذات طابع سياسي أو ديني أو عرقي ويتضح ذلك في ضخامة الصور الرمزية المعمارية في الحضارات السابقة والتي لا يتم تحقيقها إلا من خلال جهود جبارة تكاد تعلو فوق طاقة البشر [1-275]، وهنا تكمن الأبعاد الخفية للعمارة في دورها السياسي في دمج أفراد الجماعة الواحدة في هوية وطنية معبر عنها بالصروح المعمارية الضخمة وكذلك في بسط سيطرة ونفوذ الحكام على الشعب من خلال ما تبوح به القصور الملكية والأبنية العامة من قوة النظام الحاكم، ويمكن أن نحصر الدور السياسي للعمارة في الجوانب الرئيسية التالية :

1/1- تنمية وتعزيز الانتماء القومي

في إطار سياسات تعزيز الإحساس بالانتماء القومي تلجأ الحكومات إلى استدعاء مفردات الذاكرة الجماعية، فالاهتمام بالتراث الرسمي والزهو بأمجاد الماضي المعبر عنه في بوابات المدن والقصور الملكية والقلاع وإنشاء الأنصاب التذكارية وصروح الجندي المجهول كلها أساليب ترمي إلى فتح قنوات التواصل بين حاضر الأمة وماضيها حتى وان كان هذا الماضي مفبرك، فهذه المباني كما يقول بندكت أندرسون **(Benedict Anderson)**:

"محاطة بهالة من الخيالات القومية، وواقع الأمر أن هذه الآثار إما فارغة أو ليس معروفا من يرقد فيها" [2-19].

فالقوميات بحسب أندرسون تقوم على روابط متخيلة وهمية ولا يوجد رمز يعبر عنها أكثر من الجندي المجهول والأنصاب التذكارية، وهى رموز وجدت لتشير و توحي بذاكرة مُصنَعة معبر عنها في أنصاب ومباني تذكارية.

1\2- التحصين الثقافي في مواجهة السياسات الرامية إلى تكريس التبعية للاستعمار الغربي

تزداد أهمية العمارة في ظل ما يتهدد شعوب العالم الثالث من السياسات الاستعمارية الرامية إلى تكريس التبعية الثقافية والسياسية وفي ظل ما تنذر به العولمة من خطر التذويب الثقافي، ويزخر التاريخ المعاصر بالكثير من المشاهدات التي تكشف عن استهداف الاستعمار وأعوانه للمراكز التاريخية في المدن العربية والإسلامية لإحكام السيطرة عبر خلخلة علاقة الشعوب المستعمرة بجذورها الحضارية، ففي مصر- في عهد الخديويات - كانت العمارة الإسلامية والتاريخية موضعاً للإهمال وذلك بدافع التغريب و إضفاء الطابع الغربي على مدينة القاهرة، حيث أعلن الخديوي إسماعيل مقولته الشهيرة " إن مصر قطعة من أوروبا وليست في أفريقيا" [3-107] وبدأ الخديوي إسماعيل مشروعة لتطوير القاهرة بتحويلها إلى باريس الشرق، فتم إنشاء قاهرة جديدة غرب القاهرة الفاطمية، وأحدث هذا التوجه السياسي بنيتين عمرانيتين مختلفتين للقاهرة.

فالصورة البصرية لقاهرة المنشأ تحمل طابعاً إسلاميا فيما تحمل القاهرة الإسماعيلية طابعــاً أوربياً، كما عمد الاستعمار إلى سياسات الهدم المباشر للمراكز التاريخيــة، ففي العام 1936 هدم

شكل 1– عمارة وسط البلد بمدينة القاهرة ، سيطرة الطرز الغربية
نموذج لتكريس التبعية الثقافية والسياسية – (المصدر رقم: 3)

البريطاني مركز يافا القديمة بحجة ضرب الثورة الفلسطينية، وفي سوريا رسم ايكوشار في العام 1936 مخططات تفصيلية للمندوب السامي تشق الطرقات الواسعة في الأجزاء التاريخية من مدينة دمشق لتسهيل مرور مصفحات الاحتلال وتم هدم مبنى البلدية التي أعُلنَ منها استقلال سورية ورفض الوطن القومي الصهيوني، واقتلع جامع يلبغا ثاني أثر معماري ثمين بعد الأموي[4]، وفي الجزائر كانت أزقة الأحياء التاريخية هدفاً للاستعمار الفرنسي تحت دعوى تسهيل مطاردة المقاومين،وقد جاء في الوثائق الإسرائيلية ما يشير إلى استشعار اليهود خطر وجود العمارة الفلسطينية التراثية فقد وردت في وثيقة تل أبيب- موسكو 1985 الفقرة التالية:

"لا تهدموا علناً المعالم التاريخية والأثرية للشعوب غير اليهودية، ولكن أحجموا عن ترميمها وستتداعى تلقائيا بعد فترة من الزمن، وستفككها الغوغاء من هواة الآثار حجراً حجر، عليكم أن تتظاهروا إذ تشاهدون ذلك بانشغالكم الكبير بالقضايا الاقتصادية، الشعب دون تاريخ كالطفل دون أبوين، وسيساعدنا هذا أن نقولب عقله بمفهومنا للحياة ونمط تفكيرنا، بهذه الطريقة يمكن أن تفقد شعوب كاملة وجهها الحقيقي، في البداية يجب أن تفقد تاريخها وتقاليدها، ومن ثم ستكون من جديد بشكلنا ونمطنا." [4]

1\3- توثيق المراحل التاريخية من حياة الجماعات والشعوب

تعتبر العمارة هي السجل الحجري الذي يدون تاريخ الجماعات والشعوب فمن خلال الأوابد المعمارية نستدل على وجود أولئك الذين قاموا بتشييدها ونتعرف على ثقافتهم ومعتقداتهم وطرق عيشهم ، وتزداد أهمية هذه السجلات الحجرية في ظل التطورات العصرية المذهلة لبرامج الكمبيوتر وتكنولوجيا الاتصالات التي ساعدت في قدرة وسائل الإعلام والإنتاج السينمائي والتلفزيوني في إعادة إنتاج التاريخ وفبركته وفق الأهواء والمصالح المتباينة للحكومات والشعوب، وهنا يبرز دور العمارة كسجلات ووثائق لا يمكن تزويرها أو تجاهلها مهما بلغت قوة المؤثرات الإعلامية المعتمدة على برامج الكمبيوتر المتطورة.

2- الصراع على الذاكرة - جانب من السياسيات الإسرائيلية الرامية إلى تفريغ المكان من محتواه الحضاري وربطه بالنصوص التوراتية

من البديهي القول : إن مكاناً واحداً لا يكفي لذاكرتين متضادتين تنفي كل منهما الأخرى : الذاكرة الفلسطينية منحوتة في المكان في بيوت الفلاحين والمآذن والقباب التي تعلو في فضاء المدن في القدس ويافا وحيفا وعكا وبقية مدن وقرى فلسطين، والذاكرة اليهودية المتوطنة في النصوص التوراتية كقصص وإحداث ومعارك تبحث عن أمكنتها في الأرض المقدسة، ولما كان التاريخ يكتبه المنتصرون فقد كان من الضروري اللجوء إلى أساليب شتى لإزالة أية معالم

وشواهد مادية تقوض التاريخ الذي يريده لنفسه المنتصر، وقد تمحورت السياسات الإسرائيلية لسرقة ذاكرة المكان في أربعة محاور:

2\1- الإزالة والتطهير

وذلك بإزالة كل اثر فلسطيني من المكان بما في ذلك المباني والمقابر، حيث قامت إسرائيل بإزالة قرى بأكملها عن الوجود وإحراق المسجد الأقصى في العام 1968 ومحاولات هدمه من خلال حفر الأنفاق أسفل المسجد بدعوى البحث عن هيكل سليمان[5]

شكل 2- صورة في داخل المسجد الأقصى في أعقاب حرقة من قبل اليهود
(المصدر: رقم 5)

2\2- الحفاظ وإعادة الاستخدام

وذلك من خلال الإبقاء علي بعض الأوابد المعمارية ذات القيمة الجمالية وإعادة استخدامها والإيهام بأنها يهودية المنشأ، وبذلك يمكن منح المشهد العمراني في المدن الجديدة عمقاً زمنياً وعبقاً تاريخياُ وتوضح الأشكال 3،4 عدداً من المنازل التي تم تحويلها إلي مؤسسات وبيوت إسرائيلية [6]

شكل 3- بيت فى بئر السبع
وقد تحول إلى مؤسسة إسرائيلية (المصدر رقم:6)

شكل 4- بيت شكري رزق وقد تحول إلى مبنى
بلدية الرملة (المصدر رقم 6)

3\2- ربط المكان بالنصوص التوراتية من خلال المسح الاركيولوجي

لم تحظَ منطقة في العالم بأعمال التنقيب الأثري كما حظيت فلسطين ، فمنذ تأسس علم الآثار في القرن التاسع عشر انصبت أعمال التنقيب في كل بقعة في فلسطين، ويرى الكثيرون أن علم الآثار قد ولد في فلسطين كعلم أثار توراتي ففي بيان تأسيس صندوق التنقيب القومي في فلسطين (Palestine Exploration Fund)الذي تأسس في بريطانيا كأول هيئة من نوعها في أوروبا أعلنت الهيئة أن هدفها الأساسي هو "التحري الدقيق والمنهجي لأثار وطبوغرافية وجيولوجية وعادات وتقاليد الأرض المقدسة من أجل توضيح مسائل الكتاب المقدس" [7- 167]، وقد ازدادت كثافة أعمال التنقيب بعد إعلان قيام دولة إسرائيل في العام 1948 وذلك بهدف إعادة بناء تاريخ قومي يمكن مشاهدته على ارض الواقع من خلال أوابد يمكن للجميع زيارتها، فقد دأبت المؤسسات الدينية ومن أبرزها منظمة أمناء جبل الهيكل ومؤسسة المسح الجيولوجي لإسرائيل بالإضافة إلى وزارة الآثار على تكثيف أعمال التنقيب والبحث عن لقى أثرية تعزز الروايات التوراتية وتمنح الشرعية التاريخية للكيان الإسرائيلي، وفي سياق هذا البحث المحموم أعلن عن اكتشاف عدد محدود لا يتجاوز أصابع اليد من اللقى الأثرية التي ظلت عرضه لتأويلات وتفسيرات مختلف عليها علميا وبالتالي لا يستند عليها في الجزم بالمطابقة بين الروايات التوراتية وما سجل على هذه اللقى من نصوص، وقد أثار اكتشاف نقش تل دان (نسبة إلي منطقة تل القاضي في الجليل) الذي تم الادعاء بالعثور عليه بين عامي 1993-1994 عاصفة في الأوساط الأكاديمية، حيث يعود النقش لأحد ملوك دمشق الآراميين (بن الهدهد) وفيه إشارة إلي بيت داود واستدل منه على الأسرتين الحاكمتين في كل من ألسامره ويهوذا، ووجد في النقش ما يبرهن على صحة ما ورد في التوراة في الإصحاحين 20،22 من سفر الملوك، وبعد فحص النقش من قبل عالم الآثار جيوفاني غابريني **(Giovanni Gabrini)** أستاذ الساميات بجامعة روما تبين

أن النقش مزور وان مكتشفي النقش: عالم الآثار أبراهام بيران والعالم بالنقوش الآرامية جوزيف نافية بأنهما هما اللذان كانا وراء التزييف[8- 96]، كما أثار نقش يهوشع عاصفة اكبر عندما أُعلن عنه عام 2003، وادعت مؤسسة المسح الجيولوجي لإسرائيل بصحة النقش بعد فحصة والتحقق منه، والنقش مكون من خمسة عشر سطراً نسبت إلى الملك يهوشع وفيه يمتدح أعمال الترميم التى قام بها لهيكل سليمان.

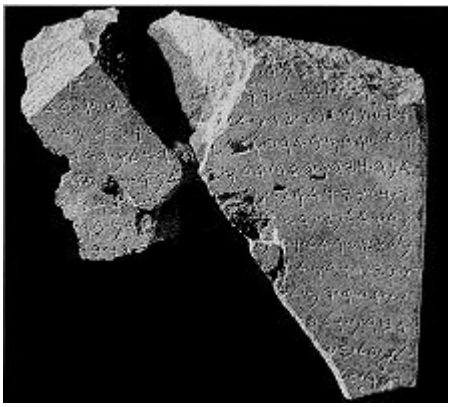

شكل 5- لنقش تل دان (المصدر رقم: 7)

واعتبر هذا النقش الدليل الأول من نوعه من مصادر غير توراتية تطابق النصوص التوراتية ويسوغ هذا الاكتشاف المطالبة بجبل الهيكل الذي يقوم عليه الحرم القدسي الشريف، ويدعم الآراء المنادية بهدم الحرم وبناؤه في مكة. وبعد انقسام أراء الباحثين وأساتذة الآثار في الجامعات قامت وزارة الآثار الإسرائيلية بتشكيل لجنتين لفحص النقش، وكان مصير هذا النقش كمصير نقش تل دان حيث تبين انه مزور[9].

كما يدعى الحاخامين اليهود وجود هيكل سليمان أسفل المسجد الأقصى، ولقد تراوحت أراء العلماء والباحثين الأثريين حول موقع الهيكل بالنفي التام لهذا الإدعاء وبين التخمين. فالعالم نورمان فنكلشتاين (Norman Finkelstein) يرى أن قدس داود لم تكن أكثر من قرية فقيرة بائسة، وأنه ليس هنالك من شاهد أثري يدل على أن هيكل سليمان كان موجوداً بالفعل [5]. كما يدعي اليهود أحقيتهم في حائط البراق، وهو بالنسبة لهم المعلم الوحيد الذي مازال قائما ويدلل على الوجود التاريخي لليهود في المدينة ويجعلون منه ركيزة لدعواهم بحق الاستيلاء على البلدة القديمة في حين انه جزء لا يتجزأ من الحائط الجنوبي الغربي للمسجد الأقصى [5].

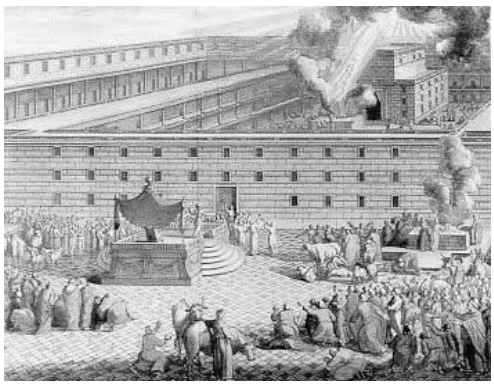

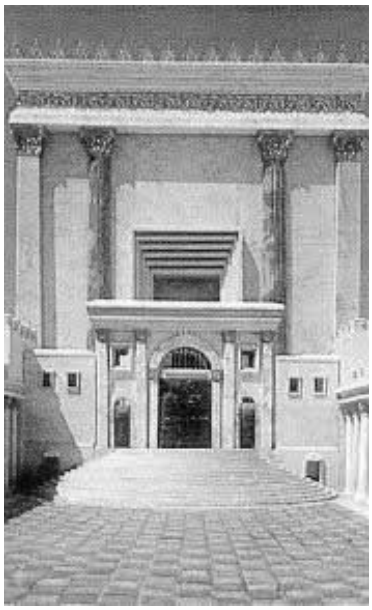

شكل 6- رسومات توضح تصور اليهود عن شكل هيكل سليمان (المصدر رقم 14)

4\2- تحميل النتاج المعماري المعاصر مضامين ورموز مستوحاة من النصوص التوراتية

مر النتاج العمراني للتجمعات اليهودية في فلسطين بعدد من المراحل والتي تعبر مجتمعة عن أزمة هوية الدولة العبرية وتخبطها بين كونها دولة علمانية تمثل نموذجا للديمقراطية الغربية وكونها دولة يهودية تقوم على نصوص توراتية وتسعي إلي تحقيق الحلم اليهودي بأرض الميعاد الممتدة من الفرات إلي النيل، فحتى قبل سبعينات القرن الماضي ظل النتاج العمراني في إسرائيل معبراً عن صورة الدولة الجديدة المعبرة عن نفسها كدولة علمانية ذات طابع غربي، فمنذ عقد الثلاثينات شاع استخدام أسلوب الطراز الدولي والباوهاوس في التجمعات العمرانية اليهودية في فلسطين، وظل الحال على هذا النحو إلي حين أتمت إسرائيل احتلال فلسطين في العام 1967وضمت القدس الشرقية إلي القدس الغربية وأعلنتها عاصمة موحدة للدولة العبرية، وأسفر ذلك عن بذوغ آراء متباينة حول الصورة العمرانية للمدينة المقدسة، وتباينت الاقتراحات بين أن يتم التعامل معها كمركز روحي لجميع الأديان أو العمل على إبرازها كعاصمة تاريخية لدولة يهودية أو كعاصمة لدولة علمانية حديثة، ودار جدل واسع في الأوساط الأكاديمية وقد شجع ذلك الجدل _ والذي جاء أيضا متزامنا مع نهاية الحداثة وظهور توجهات الما بعد حداثة في أوائل السبعينيات على نمو توجهات معمارية جديدة رأت في التوراة مصدراً للرؤى المعمارية والرموز والمضامين التي يمكن من خلالها صياغة لغة عمران جديدة تعبر عن الهوية الحضارية للدولة، ويتجلى ذلك في تصاميم موشيه صفدي لعدد من المشروعات الهامة مثل فندق قلعة داود ومطار

بن غوريون ومتحف "ياد فاشيم"،حيث تميزت تصاميمه بالرمزية وبمحاولة استحداث طابعاً محلياً للعمارة الإسرائيلية،وتتجلي هذه الرمزية أيضاً في أعمال الكثير من المعماريين اليهود مثل رامي كرمي (Rami Karmi) في مبنى المحكمة العليا في القدس و نيللي بورتغالي Nili Portugali في تصميم الكنيس اليهودي في مدينة الخضيرة، وفيما يلي يعرض البحث تحليلاً للمعاني والرموز المتضمنة في مبنى المحكمة العليا في القدس وفي الكنيس اليهودي في مدينة الخضيرة.

أولاً- مشروع المحكمة العليا الإسرائيلية- القدس

أعُلن عن هذا المشروع كمسابقة معمارية عام 1986 وفاز المعماري الإسرائيلي رامي كرمي بالمرتبة الأولي، وقد كان من الشروط التي وضعتها اللجنة القائمة على المشروع استلهام وتوظيف النماذج العليا لمدينة القدس City Archetype والتعبير في الكتلة عن سور المدينة من خلال أفقية المبنى، كما اشترطت اللجنة أن يعبر المبنى عبر رمزيته عن تقاليد "دولة إسرائيل" ، وقد جاءت الفكرة التصميمية للمشروع بحسب ما يوضحها المصمم (رامى كرمى) لتعبر عن الهوية والذاكرة اليهودية من خلال استلهام مخطط مدينة القدس في المبنى،حيث ارتأى المصمم أن ما يميز مدينة القدس هو ذلك النسيج العمراني الذي تجسد عبر فترات متتالية من التعاقب التاريخي ،حيث تمثل كل فترة نواة تاريخية راسخة في الذاكرة الفردية والجمعية اليهودية، ويرى المصمم أن هذه الأنوية تتناغم مع بعضها البعض لتروى قصة اليهود وأصولهم التاريخية واستمرارية الوجود اليهودي في المكان، وانطلاقا من هذه الرؤية أراد المصمم أن يجسد فكرته في صياغة معمارية تولد إحساساً لدى المتلقي بالتاريخ الصاعد لليهود في ارض فلسطين والذي انتهى بإنشاء الدولة الحديثة كدولة قانون وحريات، وقد عبر عن هذه الفكرة من خلال تقاطع حائطين متعامدين في المبنى من الحجر الطبيعي الغير مشغول، لتوحي (بالأرض ا المقدسة) وبالعلاقة الحميمة التي تربط الشعب اليهودي بها ، وقد جعل المصمم الجدارين يبدآن من نقطة بعيدة عن المبنى وبارتفاع منخفض ثم يأخذان في الارتفاع تدريجياً كلما اقتربنا من المبنى حتى تصل إلى نقطة المدخل، وبحسب المصمم فان ذلك يشير إلي التاريخ اليهودي الذي بدأ منبعثاً من أرض كنعان وحتى اللحظة الراهنة المعبر عنها بالدخول إلى صرح حضاري ممثلاً في أعلى هيئة للقانون، وفى ذلك مدعاة إلى التباهي بما وصل إليه اليهود من حضارة كدولة قانون وإعلاء للحس الجماعي والفردي نحو المبنى بالتملك[10] ، كما تم اختيار مادة الزجاج

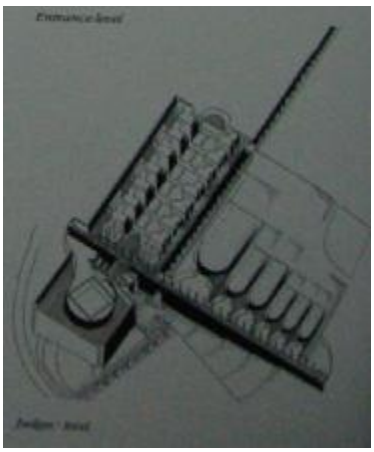

شكل 7- صورة للمحكمة العليا بعد التنفيذ والى اليمين
المخطط العام للمشروع (المصدر رقم :10)

شكل 8- احد شوارع البلدة القديمة
بالقدس (المصدر رقم: 10)

شكل 9- جانب من التصميم الداخلي لفراغات
المحكمة (المصدر رقم: 10)

في مدخل المبنى تعبيراً عن دولة إسرائيل الحديثه، وعطي بهو المدخل بهرم رجاجي، حيث أراد المصمم أن ينقل الإحساس نفسه للمتلقي عند زيارة مقام "ابسالوم" Absalom's tomb في وادي قدرون، حيث يتخلل الضوء من أربعة فتحات في الهرم الذى يغطى المقام\ الضريح، ويمكن ملاحظة أن شكل الهرم يذكر بالرمز يعبر أيضاً عن رمز الماسونية (الهرم وتتوسطه العين الحارسة للشعب اليهودي).

شكل 10- الجدار الحجري المتصاعد من نقطة البدء التي تمثل ارض كنعان (المصدر رقم: 10)

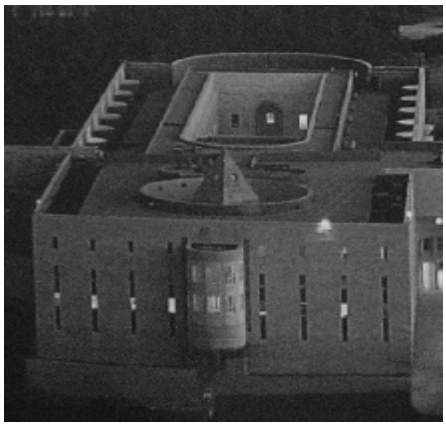

شكل 11- استلهام الرمز الماسوني في التصميم (المصدر رقم : 10)

(استلهام الشكل الهرمي من مقام ابشالوم فى وادي قدرون)

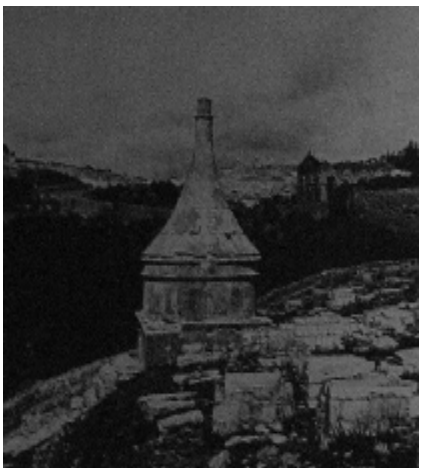

شكل 12- مقام ابشالوم (المصدر رقم: 10)

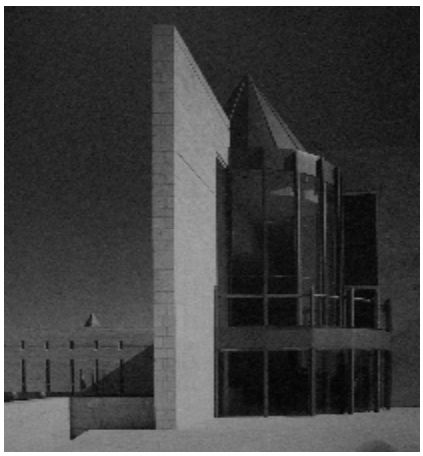

شكل 13- (المصدر رقم: 10)

ثانياً- مشروع تصميم معبد يهودي في الخضيرة

فازت بهذا المشروع المعمارية الإسرائيلية نيللى بورتغالي [11] سنة 1988 وهي من تلامذة كريستوفر الكسندر صاحب نظرية لغة الأنساق في العمارة، ويمكن ملاحظة ذلك القدر الموجهة والمقصود في إيجاد تواصل بين العمران الإسرائيلي المعاصر والعمارة التاريخية لمدينة القدس، حيث استلهمت المصممة مفردات معمارية مثل شكل البوابة في باب السلسلة وكذلك شكل القبة

بنفس النسب، بالإضافة إلى عنصر Arcade الذي يمثل حلقة وصل بين المبنى والفناء الداخلي وهو يمثل عنصراً بارزاً في مفردات عمارة المسجد الأقصى.

(استلهام عناصر معماريه من عمارة القدس في تصميم كنيس يهودي في الخضيرة)

3- العمران المسلح / الاحتلال المدني- استخدام إسرائيل للعمارة كوسيلة في إحكام سيطرتها على الأرض والسكان في فلسطين

جعلت إسرائيل سياساتها العمرانية في خدمة المشروع الصهيوني وسياساتها العسكرية في فلسطين بعيدا عن الأبعاد الجمالية والإنسانية للعمارة والتي لازمت تاريخ العمارة عبر العصور حيث تحولت العمارة إلى سلاح وحشي لإحكام السيطرة ونهب الأراضي وتقطيع أوصال الأراضي الفلسطينية. فقد ارتكزت السياسات العمرانية الإسرائيلية على عدد من النظريات مثل نظرية السور والبرج وهي نظرية في الأمن تجسدت في التجمعات الاستيطانية المبعثرة في الضفة الغربية وقطاع غزة ، حيث خططت المستوطنات على النمط القلاعي التقليدي،

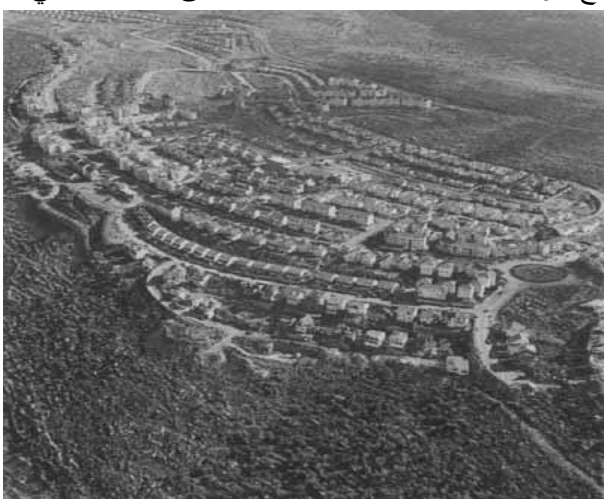

شكل 16- اعتلاء المستوطنات الإسرائيلية للتلال (المصدر رقم: 12)

شكل 17- الإضاءة القوية وسياج الحماية في المستوطنات الإسرائيلية (الهوس الأمني) (المصدر رقم: 12)

فالسور هو السياج الكهربائي الذي يحيط بالمستوطنة والحامي لما بداخلها والبرج الذي تتم من خلاله أعمال المراقبة لما حول القلعة والذي ظل كما هو ولكن بتزويده بأجهزة الإنذار وكاميرات التصوير ويتم توجيه البيوت داخل المستوطنة على أن تكون غرف النوم في الجزء الأقرب إلى قلب المستوطنة أما صالات المعيشة والجلوس فتوجه على المحيط الخارجي الموازي للسور، وهنا يتكامل دور العسكري والمعماري في احتلال الأرض وإعطاء العمارة دورا عسكريا ومسلحا بما يخدم المشروع الصهيوني.[13] وعند تخطيط المستوطنات فلابد للمعماري من تحقيق عددا من الأهداف التي أصبحت تمثل معايير لقبول المخطط لدى المؤسسة العسكرية الإسرائيلية ومن بين هذه الأهداف أو المعايير:

- قضم اكبر مساحة ممكنة من الأراضي الفلسطينية
- إقامة المستوطنة على مرتفعات جبلية تعلو القرى والمدن الفلسطينية المحيطة وبما يجعل من موقعها مكانا للسيطرة العسكرية
- تقطيع أوصال الأراضي الفلسطينية بما يحقق مشروع الوزير آلون في السبعينات وتحويل المدن والقرى الفلسطينية إلى "كنتونات" معزولة عن بعضها البعض وذلك بهدف إحكام السيطرة الأمنية والعسكرية وبهدف جعل التواصل الجغرافي مستحيلاً في أي مشروع لإقامة دولة فلسطينية. وفى أحيان كثيرة يغمد المخططون الإسرائيليون إلى اختيار مواقع المستوطنات فوق خزانات المياه الجوفية بما يؤمن سرقتها وتحويلها إلى داخل الخط الأخضر كما يجرى تصريف مياه الصرف الصحي نحو القرى والمدن الفلسطينية.

شكل 19- مسار جدار الفصل العنصري وتقطيع أوصال الأراضي الفلسطينية
(المصدر رقم: 13)

4- نتائج البحث والتوصيات

تبرز السياسات العمرانية الإسرائيلية خطورة وأهمية دور العمارة في الصراع السياسي حيث انصبت هذه السياسات على وسائل شتى كتحويل البيوت الفلسطينية ذات القيمة التاريخية إلى بيوت ومؤسسات إسرائيلية وربط العمارة الإسرائيلية المعاصرة بالنصوص التوراتية والرموز المستقاة من التاريخ اليهودي وذلك بهدف الإيهام بعمق زمني للوجود اليهودي على أرض فلسطين وبهدف تعميق الإحساس بالزمن والتاريخ في مجتمع حديث النشأة ويفتقر إلى كل مقومات التواصل الزمني في المكان.

وفى إطار ضرورة الوعي بالأبعاد السياسة الخطيرة لمثل هذه السياسات العمرانية فانه لابد من توجبه العمران الفلسطيني بما يستنطق ذاكرة المكان ويؤكد على الهوية الفلسطينية وبما يشكل في نهاية الأمر دحضاً للادعاءات اليهودية، وفى هذا الإطار فان البحث يعرض عدداً من التوصيات الموجهة إلى الأطراف الفلسطينية ذات الشأن المباشرMain Actors والأطراف ذات الصلة والاهتمام Stakeholders في التأثير على المشهد العمراني في فلسطين:

- الاهتمام بالأنصاب التذكارية في الميادين العامة وربطها بالأحداث التاريخية والوطنية.
- صياغة خط السماء للمدن والبؤر البصرية في المشهد العمراني للمدن الفلسطينية يدعم الإحساس بالهوية والانتماء، وذلك من خلال تكثيف الرموز المستقاة من التاريخ الفلسطيني والتركيز على الرموز الإسلامية لما لها من تأثير عميق فى الذاكرة والوجدان.
- تحفيز المعماريين والمصممين على استلهام النماذج الأصلية Archetypes من عمارة القرى والمدن التي احتلت في العام 1948 وذلك عبر المسابقات المعمارية.

قائمة المراجع والهوامش:

1- اسمن، يان،-2003- **الذاكرة الحضارية**. ترجمة عبد الحليم عبد الغنى رجب. الطبعة الأولى، المجلس الاعلى للثقافة، القاهرة ، ص: 61.

2- أندرسون، بندكت،2003- **الجماعات المتخيلة**. ترجمة محمد الشرقاوي. الطبعة الأولى ، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة ، ص: 19.

3- الصاوي، على،1994 – **ديناميات العمران الشعبي والرسمي** ، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الهندسة، قسم العمارة، جامعة القاهرة، ص:107.

4- تحت مقصلة ايكوشار:
http://www.tishreen.info/_archives.asp?FileName=42442496120061216002929

5- التعليم المعماري بين الحفاظ على الهوية والبعد السياسي:
http://www.geocities.com/mansouraarch/

6- فلسطين فى الذاكرة:
http://www.palestineremembered.com

7- سواح، فراس ،2003- **أورشليم في عصر مملكة يهوذا**. توماس تومبسون : القدس- أورشليم العصور القديمة بين التوراة والتاريخ ،مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، ص. 167.

8- لامكة ، نيلز بيتر ،2003- **بيت داود في نقش تل دان. توماس تومبسون** : القدس- أورشليم العصور القديمة بين التوراة والتاريخ ،مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، ص. 96.

9- الرواية التوراتية لتاريخ بني إسرائيل على ضوء المكتشفات الأثرية الحديثة:
http://palestine-info.info/arabic/landhistory/history/naqsh.htm

10- Sharon, Yosef.,(1996)- **The Supreme Court Building Jerusalem.**, Jerusalem, Yad Hanadiv

11- A holistic approach to Architecture and its Implementation in Physical and Cultural Context of Place:
http:// www.niliportugali.com

12- The Wall and the Eye - An interview with Eyal Weizman:
http://www.cabinetmagazine.org/issues/9/wall.php

13- Ayal Weizam., (2003)- **A civilian occupation : The Politics of Israeli Architecture.**, Verso, New York

14- Jewish Virtual Library :
http://www.jewishvirtuallibrary.org/jsource/Judaism/The_Temple.html